لماذا شَفِيق غُرْبال
من شَوَامخ المؤرخين؟

أ. د. رأفت غنيمي الشيخ
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة الزقازيق

obeikan.com

obeikan.com

مُقَدِّمة :

خيرًا أحسنت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بتخصيص ندوة عن المؤرخ محمد شفيق غربال، حيث إن تذكر شوامخ المؤرخين المصريين من جانب أهم مؤسسة علمية ترعى تاريخ مصر وعلاقاتها العالمية يمثل جهدًا كبيرًا مشكورًا، كما أنه كان مطلوبًا.

ومن ثم جاء اختياري لورقة العمل التى أتقدم بها للندوة بعنوان: لماذا شفيق غربال من شوامخ المؤرخين، بتسجيل حياته العلمية بوصفه مؤسس للجمعية التاريخية المصرية، وعضوًا بمجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية) .

وبالمناسبة فإنني أقترح أن تصدر الجمعية موسوعة بعنوان: «المؤرخ مصري» يشترك فيها جميع المتخصصين في التاريخ القديم والإسلامي والوسيط والحديث والمعاصر لترجمة حياة الأعلام والشوامخ من المؤرخين القدامى والمحدثين، بما يسمح لشباب المؤرخين الاستفادة من جهود الشوامخ من مؤرخي مصر.

ورؤيتي في إصدار هذه الموسوعة تتمثل في الأمور الآتية:

١- ريادة المؤرخين المصريين في الدراسات التاريخية على المستوى المحلي والعربي والدولي.

٢- إبراز الدور الوطني للمؤرخ المصري الذي لا يوجد من يباريه في الوطنية والإنتاج العلمي المتميز.

٣- إثبات أن المؤرخ المصري وطني لحمًا ودمًا وفكرًا وإنتاجًا ومكانة عربية وعالمية، كما أنه ضمن المنظومة العربية التى تمثل مصر قلبها وعقلها.

٤- أن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية التى تضم كبار أساتذة التاريخ المصري المعاصرين وشباب المؤرخين ـ امتداد للرواد والأساتذة ومقرها مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية.

٥- أن اتحاد المؤرخين العرب مقره مدينة القاهرة، تأكيدًا على مكانة شوامخ المؤرخين المصريين

عبر العصور التاريخية، وفي كل تخصصات المؤرخين، والاتحاد يمثل عقل وفكر مؤرخي الأمة العربية، وفي مقدمتهم المؤرخين المصريين.

وهكذا تجيء ندوة شفيق غربال تأكيدًا لأصالة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية على أمل الاستمرار في هذا النهج العلمي الوطني.

لماذا غربال من الشوامخ؟

أولًا- نشأته وتربيته والتعليم الذي تربى فيه:

ولد محمد شفيق غربال بمدينة الإسكندرية في ٤ يناير عام ١٨٩٤م، في حي يحمل اسم عائلته (حي غربال) ، وكانت أسرته من أثرياء الثغر بما يمتلكون من زراعات وبما يمارسون من تجارة، وقد هيأت له الأسرة الإعداد المتميز سواء في التعليم بمصر أو خارج مصر.

التحق محمد شفيق غربال بالمدرسة الابتدائية بحي غربال، ثم التحق بمدرسة رأس التين الثانوية حيث حصل على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) عام ١٩١٢م، وبعدها التحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة وتخرج منها عام ١٩١٥م، وكان محمد شفيق غربال مغرمًا بقراءة كتب التاريخ، حيث قرأ كتاب: وفيات الأعيان كاملًا لابن خلكان وهو تلميذ بالمدرسة الثانوية.

ورغم سنوات المعارك الحربية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م) ، فقد وافق على السفر إلى بريطانيا في بعثة رسمية للحصول على درجة الليسانس (البكالوريوس) في التاريخ الحديث بجامعة ليفربول Liverpool حيث درس إلى جانب التاريخ علوم: الاقتصاد، الفلسفة، الجغرافيا، ومناهج البحث وطريقة قراءة الوثائق واستخراج الحقائق التاريخية منها.

التعليم الذي تربى فيه شفيق غربال:

يتأثر التعليم في أي بلد بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلد، ومن ثم فإننا عند مناقشة إنجازات التعليم في عهد كل من الخديو محمد توفيق والخديو عباس حلمي الثاني لابد من استعراض - في عجالة - الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في ظل

الاحتلال البريطاني لمصر من ١٨٨٢-١٩١٤م.

ففي المجال الاقتصادي سيطر الأجانب على هيكل الاقتصاد المصري، كما انتعشت الرأسمالية المصرية المتمثلة في بعض المصريين والمتمصرين، إلى جانب التخلف الاقتصادي المتمثل في التخصص الزراعي أي الاعتماد على محصول واحد هو القطن، وانتشار البطالة وانخفاض مستوى المعيشة وتأخر الحرف والصناعات القائمة.

وفي المجال السياسي كان الصراع قائمًا على النفوذ السياسي في البلاد بين سلطات الاحتلال بزعامة اللورد كرومر المعتمد البريطاني، وبين السراي مقر الخديو، وبين الأحزاب السياسية التي بدأت في أوائل القرن العشرين وأهمها الحزب الوطني وحزب الأمة وحزب الإصلاح وغيرها.

وفي المجال الاجتماعي كان المجتمع المصري يتكون من كبار الملاك الزراعيين، ومن الفلاحين والعمال الحرفيين الذين يمثلون سواد الشعب المصري، ومن المثقفين في الطلاب والموظفين والعسكريين وأصحاب المهن الحرة، ومن الطوائف غير المصرية المتمثلين في الأوروبيين والأتراك والأرمن والشوام.

ورغم أن سياسة الاحتلال التعليمية اتسمت بالعمل على تقليص التنمية التعليمية بالتقليل من عدد المدارس والمعلمين، إلا أن الفرص التعليمية التي أتاحتها سلطات الاحتلال أمام المصريين استخدمت أداة للقهر السياسي بتربية الشباب على النفاق والخنوع والخوف من خلال وجود مستشار إنجليزي لوزارة المعارف المصرية ينفذ هذه السياسية. كما قامت سياسة الاحتلال التعليمية في مصر على استخدم التعليم أداة للجمود الاجتماعي من خلال تقليل الإنفاق على التعليم وفرض المصروفات على طلاب التعليم، والتشدد في أعمال الامتحانات. كما أن التعليم في عهد الاحتلال استُخدام أداة للتخريب الثقافي بمحاربة اللغة العربية وفرض تعلم اللغة الإنجليزية، وتشجيع النشاط التربوي الأجنبي من خلال المدارس الأجنبية للأوروبيين والأمريكيين واليهود[1].

أقول رغم هذه السياسة التعليمية الموجهة لسلطات الاحتلال البريطاني في مصر فقد كانت

(١) سعد مرسي وسعيد إسماعيل: تاريخ التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٢٤-٤٧٦.

هناك جهود وطنية مصرية لمواجهة هذه السياسة تمثل إنجازًا حضاريًا لمصر تمثل في الآتي:

أ- اهتمام الحركة الوطنية المصرية بتعليم أبناء الشعب لزيادة الوعي بالقضية الوطنية المتمثلة في جلاء الإنجليز عن الأرض المصرية ورفع الأيدي الأجنبية المتسلطة على أمور مصر السياسية والاقتصادية. فكانت سياسة مصطفى كامل ومحمد فريد والحزب الوطني الدعوة لإنشاء مدارس ليلية لتعليم العمال والفلاحين واهتمام أعضاء الجمعية العمومية بضرورة إشراف الحكومة على التعليم النهوض به.

وقد تمثلت الجهود الوطنية في التعليم من خلال الجمعيات الخيرية الإسلامية، والقبطية التى اهتمت بنشر التعليم، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية التى تأسست بالقاهرة عام ١٨٩٢م وجمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية بالإسكندرية والتى تأسست أيضًا ١٨٩٢م. ومثل جمعية المساعي الخيرية وهي أول جمعية خيرية مسيحية أسست في مصر عام ١٨٩١م، وجمعية الإيمان القبطية عام ١٨٩٩م، وجمعية المحبة بالظاهر وأنشأت عام ١٩٠١م، وجمعية ثمرة التوفيق بالفجالة وتأسست عام ١٩٠٨م[١].

ب - إنشاء الجامعة الأهلية:

يمكن التأريخ لفكرة إنشاء جامعة أهلية مصرية منذ عام ١٩٠٠م عندما دعا مصطفى كمال بإنشاء مدرسة جامعة وتتكون من المراحل الثلاث الأولى والوسطى والعليا، وعاود مصطفى كامل الدعوة لإنشاء الجامعة المصرية أعوام ١٩٠٤، ١٩٠٥م وعام ١٩٠٦ من خلال كتاباته وأحاديثه، وكما دعت جريدة المؤيد في مقال نشر عام ١٩٠٦م إلى تأييد فكرة إنشاء الجامعة المصرية، كما شاركت عدة صحف أخرى في تأييد الفكرة.

وبدأت خطوات تأيد الفكرة بالدعوة إلى التبرع لصالح إنشاء الجامعة، وكان أول المتبرعين مصطفى بك كامل الغمرواي أحد أغنياء بني سويف الذي تبرع من تلقاء نفسه بمبلغ خمسمائة جنيه، ثم اتفق المؤيدون للفكرة على الاجتماع في منزل سعد زغلول بك المستشار في محكمة

(١) جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر ١٨٨٢-١٩٢٢م، القاهرة ١٩٦٦، ص٤٠٠-٤١٤.

الاستئناف الأهلية يوم ١٢ أكتوبر ١٩٠٦ ونشروا في الصحف الدعوة للاجتماع وقد تقرر في الاجتماع ما يلي:

١- إنشاء لجنة تحضيرية من كل من: سعد زغلول بك وكيلًا للرئيس العام، وقاسم أمين بك سكرتير اللجنة، وحسن سعيد بك أمينًا للصندوق. وعضوية كلًا من: عثمان أباظة، ومحمد راسم بك، وحسن جمجوم بك، وحسن السويفي بك، وأخنوخ أفندي فانوس، وزكريا أفندي نامق، ومحمود الشيشيني بك، ومصطفى كامل الغمراوي بك.

٢- تأجيل انتخاب الرئيس العام إلى الجلسة القادمة.

٣- نشر الدعوة في جميع الصحف المحلية عربية وإفرنجية.

٤- تسمى هذه الجامعة "الجامعة المصرية".

٥- الاجتماع مرة أخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس وأعضاء اللجنة النهائية.

٦- دعوة أبناء الشعب المصري لتأييد الفكرة وتدعيمها ماديًا ومعنوياً.

وعندما عُيِّن سعد زغلول ناظرًا للمعارف انسحب من عضوية اللجنة وحل محله قاسم أمين بك، وقبل الخديو عباس حلمي الثاني وجعل اللجنة تحت رعايته وجعل ولي عهده رئيس شرف لها، وبذلك أعلن الأمير أحمد فؤاد رئيسًا للجامعة في جلسة ٣١ يناير ١٩٠٨م. وقد احتفل رسميًا بافتتاح الجامعة المصرية في القاعة الكبرى بمجلس شورى القوانين بحضور الخديو عباس الثاني في ٣١ ديسمبر عام ١٩٠٨، وعاشت الجامعة من البداية على تبرعات أفراد الشعب واعتمدت في المحاضرات على طائفة من الأساتذة المصريين والأجانب واستقرت حينئذ في دار "جاناكليس" وكانت الحكومة تقدم معونة للجامعة، وأرسلت الجامعة بعثات إلى أوروبا.

وقد اعترفت الحكومة بالجامعة المصرية، وبادر حسين رشدي باشا أحد أعضاء الجامعة بتقدير إعانة سنوية من وزارة الأوقاف قدرها خمسة آلاف جنيه كل سنة ابتداء من عام ١٩٠٨م. وكان اعتراف الحكومة بالجامعة قد جاء في خطاب من مصطفى فهمي باشا ناظر الداخلية إلى

الأمير أحمد فؤاد باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة بتاريخ ١٦ يونيو عام ١٩٠٨م[١].

وقد تبرعت الأميرة فاطمة إسماعيل بمساحة من الأرض بنيت عليها كلية الآداب بالجامعة المصرية كما تبرع آخر هو حسن بك زايد بخمسين فدان وقفها للجامعة، وتم ضم بعض المدارس العليا إلى الجامعة بعد أن صارت جامعة حكومية لتكون بعض كلياتها، ثم افتتاح الجامعة المصرية كجامعة حكومية في عام ١٩٢٥م[٢] ووُضع حجر الأساس للمدينة الجامعية ومساكن الطلاب بيد الملك فاروق الأول بتاريخ ١١ فبراير ١٩٤٦م. وهي الآن جامعة القاهرة بعد أن كانت جامعة فؤاد الأول، حيث تغير الاسم بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

ذلك كان نظام التعليم الذي تربى فيه محمد شفيق غربال، ثم كان طموحه لاستكمال تعليمه.

وفي عام ١٩١٩م حصل محمد شفيق غربال على درجة البكالوريوس الممتازة بمرتبة الشرف في التاريخ الحديث، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل واصل دراسته للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة لندن بإشراف العالم والمؤرخ البريطاني الشهير آرنولد توينبي Arnold Toynbee وقد أجازه المشرف بعد أن انتهى من إعداد رسالته للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث بعنوان: مصر بين عهدين، بداية القضية المصرية، وظهور محمد علي.

حصل محمد شفيق غربال على الماجستير عام ١٩٢٤م بإشراف المؤرخ العالمي آرنولد توينبي[٣]، وكانت هذه الدرجة الجامعية حدثًا علميًا استرعى أنظار الأساتذة والباحثين، خاصة وأنها اعتمدت على الوثائق الأوروبية، غير المنشورة، وكان هذا الأمر جديدًا في تاريخ الدراسات التاريخية في مصر، كما أن الرسالة اتسمت بالتحليل والموضوعية واستقراء الأحداث.

---

(١) جرجس سلامة، المرجع السابق، ص٤١٥-٤٢٥.

(٢) سعد مرسي وسعيد إسماعيل: المرجع السابق، ص٤٨٠.

(٣) المؤرخ البريطاني العالمي الموسوعي آرنولد توينبي المشهور بمؤلفاته وأهمها مؤلفه المكون من ١٠ مجلدات بعنوان دراسة للتاريخ A study Of History كما كانت مواقفه الموضوعية في قضايا العالم مثل النازية، ومذابح اليهود للعرب في فلسطين. ونضيف أفكار توينبي ومنهجه في دراسة التاريخ باعتباره أستاذًا لشفيق غربال الذي تأثر بها في إعداده كأستاذ في جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ..

ثانيًا - وظائفه:

كانت أول وظيفة تقلدها محمد شفيق غربال بعد عودته من بريطانيا حاملًا درجة البكالوريوس في التاريخ الحديث عام ١٩٢٥م هي وظيفة مدرس للتاريخ بكلية المعلمين العليا - الكلية التى تخرج منها قبل بعثته إلى بريطانيا - ثم نقل إلى وظيفة أستاذ مساعد للتاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد الأول) عام ١٩٢٩م.

وبهذا كان محمد شفيق غربال أول مصري يقوم بتدريس التاريخ في الجامعة المصرية، حيث كان الأجانب يحتلون معظم كراسي التدريس بالجامعة، وعندما تم الاستغناء عن المؤرخ البريطاين جرانت Grant عام ١٩٣٦م تم ترقية محمد شفيق غربال أستاذًا للتاريخ الحديث؛ وبذلك كان محمد شفيق غربال أول مصري يتولى كرسي الأستاذية في قسم التاريخ بكلية الآداب، وفي عام ١٩٣٩م تم تعيين محمد شفيق غربال وكيلًا لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ثم انتخب عميدًا لها.

وبسبب عدم الاستقرار في وزارة المعارف العمومية (وكانت الجامعة تخضع لإشرافها) خاصة أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) نُقل محمد شفيق غربال للعمل مستشارًا فنيًا لوزارة المعارف العمومية عام ١٩٤٠م مع استمراره في إلقاء المحاضرات على طلاب كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، حتى تم تعيينه وكيلًا مساعدًا لوزارة المعارف العمومية، واستمر يجمع بين العملين حتى عام ١٩٤٢م.

وعندما عاد للعمل كأستاذ بجامعة فؤاد الأول تاركًا وظيفته التى نقل إليها في وزارة المعارف العمومية في ديسمبر ١٩٤٢م، شعر بأنه عاد إلى مكانه الطبيعي فأعطى كلية الآداب كل جهده، وتابع تلاميذه ومكنهم من البحث العلمي، وبعد ثلاث سنوات أعيد نقل محمد شفيق غربال إلى وزارة المعارف العمومية مستشارًا فنيًا لها، ثم وكيلًا للوزارة إلى جانب تعيينه أستاذًا غير متفرغ بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول عام ١٩٤٩م.

وبعد بلوغ محمد شفيق غربال سن التقاعد تولى منصب مدير معهد البحوث والدراسات

العربية التابع لجامعة الدول العربية، وفي عهد إدارته للمعهد أخرج المعهد عددًا من الدراسات العلمية القيمة في الأدب والتاريخ والاقتصاد والسياسة وعمل على توجيه الطلاب المصريين والعرب الملتحقين بالمعهد إلى تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر وأشرف على عدد من رسائلهم التى اتخذت هذا الاتجاه.

تأثر محمد شفيق غربال بالظروف المعاصرة وآرنولد توينبي :

عاش أرنولد توينبي من ١٨٨٩ إلى ١٩٧٣م أي أنه شهد تطورات خطيرة في العالم في تلك الفترة فقد جاء إلى الحياة وقد بلغت الثورة الصناعية أوجها، كما اتسعت الأطماع الاستعمارية العالمية في البلاد التى كانت مهدًا للحضارة القديمة مثل مصر والهند والصين والعراق والشام وغيرها إلى جانب بقية شعوب القارة الأفريقية والقارة الآسيوية.

كما شهد آرنولد توينبي اندلاع الحرب العالمية الأولى سواء في أوروبا أو في الشرق الأوسط، تلك الحرب التى قادتها العسكرية الألمانية وسط تحالفات واتفاقيات بين أطراف الصراع في أوروبا المتمثلة في إنجلترا وفرنسا والروسيا وإيطاليا، تلك الحرب التى انتهت بتوقيع العقوبات على ألمانيا المنهزمة وكانت عقوبات قاسية تجعل من الصعب على الألمان الاستمرار في الخضوع لها دون محاولة تغييرها بالقوة.

كما شهد أرنولد توينبي اندلاع الحرب العالمية الثانية بين معسكرين حضاريين حضارة حديثة في غرب أوروبا وشرقها وفي أمريكا وفي شرق آسيا، معسكر يتمثل في الحضارة الجرمانية ومعه حضارة اليابان في الشرق الأقصى إلى جانب الحضارة الإيطالية المعاصرة وريثة الحضارة اللاتينية القديمة، والمعسكر الثاني يتمثل في الحضارة الأنجلوسكسونية إلى جانب الحضارة الفرنسية المعاصرة مع الحضارة الأمريكية المزدهرة إلى جانب حضارة الاتحاد السوفيتي بشرق أوروبا.

لقد عايش أرنولد توينبي الصدام بين المعسكرين الحضاريين المتصارعين، وشاهد الدمار الذي تخلف عن هذا الصدام فانفعل بالأحداث المعاصرة وشعر بالقلق عن مصير الحضارة الغربية المعاصرة من الزوال، فانكب يدرس الحضارات القديمة لمعرفة أسباب تدهورها وفنائها.

حياة أرنولد توينبي وأفكاره :

ولد أرنولد توينبي عام ١٨٨٩م في إنجلترا ودرس اللغتين اليونانية واللاتينية، وأحاط بالحضارة الهيللينية التى تعتبر في رأيه أساسية في فهم الحضارة الغربية المعاصرة، وعايش أحداث الحربين الأولى والثانية فانفعل بها، وجاءت نتيجة ذلك موسوعته الضخمة "دراسة للتاريخ" التى قضى في تأليفها حوالي ٤٠ سنة من عام ١٩٢١م إلى عام ١٩٦١م في عشرة مجلدات اختصرت بعد ذلك إلى أربعة مجلدات ترجمت إلى اللغة العربية بمعرفة الأستاذ فؤاد شبل.

وقد ألف آرنولد عدة كتب أخرى منها : تاريخ الحضارة الهيللينية، معالجة مؤرخ للدين، محاكمة الحضارة، الحرب والحضارة، أمريكا والثورة العالمية، الثورة الصناعية، التجربة الحاضرة في الحضارة الغربية، العالم والغرب[١].

يشير آرنولد توينبي إلى أن ميدان الدراسة القابل للفهم بذاته هو المجتمع الذي يضم عددًا من الجماعات من النوع الذي تمثله بريطانيا، لا بريطانيا وحدها، ولكنه يضم فرنسا وإسبانيا وهولندا وبلجيكا والبلاد الإسكندنافية وغيرها.

ويضيف أن العوامل المؤثرة في المجتمع لم تكن قومية الطابع ولكنها صدرت عن أسباب أوسع مدى تؤثر على جزء من الأجزاء، كما أن المجتمع الذي يضم هذه الأجزاء يجابه أثناء حياته مشكلات متتابعة تفرض على كل عضو فيه أن يحلها لنفسه على خير ما يستطيع وتعتبر كل مشكلة تحديًا لعضو المجتمع تفرض عليه محنة يجتازها، وتؤدي تلك السلسلة من المحن إلى تمايز أعضاء المجتمع بالتدريج بعضهم عن بعض[٢].

كما أن أرنولد توينبي يرى أن حقل الدراسة التاريخية متسع للغاية ولا حدود له، ولكن على المؤرخ أن يستعيد ويميز الوحدات الحضارية، ويقوم بدراسة العلاقات على المستويين الخارجي والداخلي ويركز توينبي اهتمامه على مجتمع غرب أوروبا المسيحي فيدرسه دراسة تراجعية حتى

(١) أحمد صبحي: المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٢) أرنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ، جـ١، ص٧.

يصل إلى جذوره الأولى، ثم يطبق المنهج نفسه على الحضارات الأربع المتبقية التى هي أكثر قدمًا من حضارة غرب أوروبا، ويفيض في دراسة العلاقة بين هذه الحضارات الخمس.

ويذكر أرنولد توينبي أن هناك خمسة مجتمعات حضارية قائمة حتى اليوم هي:

١- مجتمع مسيحي كاثوليكي وبروتستانتي تمثله أوروبا الغربية.

٢- مجتمع مسيحي أرثوذكسي في جنوب شرقي أوروبا.

٣- مجتمع إسلامي يمتد من المحيط الأطلسي عبر شمال أفريقيا والشرق الأوسط حتى الواجهة الخارجية من سور الصين العظيم.

٤- مجتمع هندوكي في القسم الاستوائي من الهند.

٥- مجتمع الشرق الأقصى في المنطقتين شبه الاستوائية والمعتدلة الممتدة بين المنطقة القاحلة في غرب آسيا والمحيط الهادي.

كما أضاف أرنولد توينبي أننا إذا أمعنا النظر فإنه يمكن أن نميز كذلك مجموعتين تبدوان كبقايا متحجرة من مجتمعات مشابهة اندرست أي اختفت في الوقت الحاضر هما:

(أ) المجموعة الأولى تشمل المسيحيين المينوفيستيين القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح في أرمينيا وما بين النهرين ومصر والحبشة، والنساطرة المسيحيين في كردستان، والنساطرة السابقين في ملابار، ويضاف إلى ذلك اليهود والمجوس.

(ب) المجموعة الثانية تشمل البوذيين المعتنقين مذهب "ماهايانا" وهم البوذيون الساكنون في الصين واليابان وغيرهما من مناطق آسيا الشمالية، في التبت ومنغوليا، وتشمل البوذيين أتباع مذهب "هينايانا" وهم بوذيو آسيا الجنوبية في سيلان وبورما وسيام وكمبوديا، كما تشمل أتباع مذهب "الجين" وهم طائفة هندية غنية تنتشر في شمال غرب الهند بصفة خاصة وتؤمن باستقلال الروح عن الجسد وقمع الشهوات، ويحذرون من إيذاء كل حي تطبيقًا لمبدأهم في تقديس الأرواح، وهم في الهند[١].

---

(١) أرنولد توينبي: المرجع السابق، ص١٤-١٥.

ومع تسجيل هذه المجتمعات الحضارية على اختلافها فإن أرنولد توينبي انتقد مؤرخي الغرب القائلين بأن الحضارة الغربية أعظم الحضارات قيمة، وأن هذا القول راجع إلى سيادة الحضارة الغربية الحديثة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، وهي في رأيه أنانية تماثل ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار أو قدامى اليونانيين أن غيرهم من الأمم برابرة.

◉ ومن وظائف محمد شفيق غربال الأخرى ما يأتي:

١- عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة[١].

٢- عضوًا بالمجمع العلمي المصري.

٣- عضوًا بالجغرافية الملكية.

٤- عضوًا بجمعية الاقتصاد والتشريع.

٥- عضوًا بجمعية الآثار القبطية.

٦- عضوًا بالمجلس الأعلى للآثار.

٧- عضوًا بلجنة الترجمة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

٨- عضوًا بمجلس جامعة عين شمس.

---

(١) نصَّت المادة الثانية من قانون المجمع اللغوي (مارس ١٩٣٢م) أن: الغرض من هذا المجمع ترقية اللغة العربية وإحياء ما تدعو إليه الحاجة مما دثر في مفرداتها، وأول أعماله جمع المواد اللازمة لوضع معجم حسن الترتيب سهل التناول وشامل للألفاظ المدونة في المعجمات المتداولة الآن ولغيرها مما قد استعمله أولو الدراية ولا تأباه أقبية اللغة ولما يرتضيه المجمع أو يضيفه من أسماء المسميات الحديثة والمصطلحات العلمية والفنية ونحوها للوفاء بالحاجات المتجددة التي تقتضيها حالة العمران. د. عبد المنعم الدسوقي الجميعي: مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية منشورات مصر النهضة - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٨٣، ص١٢١

هذا. وقد شارك محمد شفيق غربال في أنشطة مجمع اللغة العربية، حيث شارك في المؤتمرات الثقافية للجامعة العربية، منها الاشتراك في المؤتمر الثقافي العربي الثالث الذي عقد في بغداد في الفترة من ٨ إلى ٢٨ نوفمبر ١٩٥٧م، وكان موضوعه: مناهج التاريخ والجغرافيا في البلاد العربية، وقد مثَّل المجمع في هذا المؤتمر الدكتور منصور فهمي رئيس المجمع والأستاذ محمد شفيق غربال. د. عبد المنعم الدسوقي الجميعي: المرجع السابق، ص٨٢.

٩- عضوًا بمجلس إدارة معهد البحوث والدراسات العربية.

١٠- رئيسًا للجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

ثالثًا- إنجازاته:

أنجز محمد شفيق غربال أثناء حياته العلمية التى امتدت حتى وفاته في ١٩ أكتوبر ١٩٦١م كثيرًا من الإنجازات العلمية التى تعد من مآثره وأفضاله على الدراسات التاريخية والأكاديمية من أهمها:

١- إنشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية(١).

٢- إنشاء متحف الحضارة المصرية عام ١٩٤٩م.

٣- خدم مصر أثناء قيامه برئاسة وفد مصر في الجمعية لليونسكو.

٤- كما خدم مصر أثناء عضويته بالمجلس التنفيذي لليونسكو من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٠م ممثلًا للشرق الأوسط.

٥- كما خدم مصر كذلك عام ١٩٥١م عندما تم اختياره لعضوية لجنة من أبرز مؤرخي العالم ليكونوا مستشارين لليونسكو في شئون تاريخ العالم.

---

(١) بعد عودة شفيق غربال من بعثته بإنجلترا سعى من أجل إنشاء الجمعية التاريخية حتى صدر المرسوم الملكي في عام ١٩٤٥م بإنشاء الجمعية وتعيينه نائبًا لرئيس الجمعية، ثم انتخب عام ١٩٥٦م رئيسًا للجمعية، حيث أنشأ مكتبة الجمعية بتزويدها بالكتب المتخصصة والمصادر الأصلية، وقد أشرف على إصدار مجلة الجمعية التى تصدر سنويًا، وإصدار مجموعة من مطبوعات الجمعية القيمة. وقد شارك شفيق غربال خلال الموسمين الثقافيين للجمعية ١٩٥٨/١٩٥٩م بعدة محاضرات ألقاها بالجمعية، كان أهمها:

١- التاريخ والمؤرخون في أوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر.

٢- الأصول التاريخية للديمقراطيين المعاصرين.

٣- المؤرخون ووحدة العالم.

٤- توينبي Toynbee المؤرخ والديانات.

د. عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، دراسة تاريخية لمؤسسة علمية (١٩٤٥-١٩٥٨) ص١٤٧-١٤٨، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦- أشرف على إخراج الموسوعة العربية الميسرة، وهي أول دائرة معارف عربية صغيرة أصدرتها موسوعة فرانكلين، وقد أتاح له إشرافه على هذا العمل أن يخرج للقراء عملًا عربيًّا خالصًا، فكان رئيسًا لمجلس إدارتها، ومشرفًا على تحرير المواد التاريخية، لكنه لم ير هذا العمل مطبوعًا حيث توفى بعد مرض قصير.

رابعاً- مؤلفاته:

دَرَس محمد شفيق غربال الأصول التاريخية التى كوَّنت تطور مصر في القرن التاسع عشر ومنها:

١- بحث عميق بعنوان: « مصر عند مفرق الطرق ».

٢- بحث بعنوان: « الجنرال يعقوب والفارس لسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١م»، وتناول فيه فكرة استقلال مصر عن تركيا على أساس التفاوض في العواصم الأوروبية.

٣- كتاب « محمد علي الكبير »، صدر سنة ١٩٤٤م، ويعد هذا الكتاب على صغر حجمه من أفضل الدراسات التاريخية التى كتبت باللغة العربية.

٤- بحث نُشر عام ١٩٥٢ بعنوان: « تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية منذ الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢م إلى معاهدة التحالف المصرية البريطانية في سنة ١٩٣٦م ».

٥- آخر ما كتبه بعنوان: « منهاج مفصل لدراسة العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم »، والكتاب ليس تاريخًا للأمة العربية، ولكنه فلسفة لتاريخها، وهو في الأصل محاضرات ألقاها على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة.

٦- على الرغم من شدة اهتمام محمد شفيق غربال بالترجمة باعتبارها وسيلة لتزويد المكتبة بروائع الفكر الأجنبي، فإنه لم يمارس الترجمة كثيرًا، والكتاب الوحيد الذي ترجمه إلى العربية هو: « المدينة الفاضلة عند فلاسفة القرن الثامن عشر ».

هذا وقد أورد الأستاذ الدكتور عبد المنعم الدسوقي الجميعي في كتابه عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، قائمة بأوراق محمد شفيق غربال أودعها بالجمعية نجله الدكتور مراد محمد شفيق غربال بعد وفاة والده، وهي تشمل ما يأتي ويمكن إضافتها مع مؤلفاته. وهي:

١- مخطوط تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان للتونسي.

٢- تاريخ في شأن الوزير محمد علي باشا للخليل بن أحمد الرجبي.

٣- رسائل خطابات بالإيطالية متبادلة بين بعض زعماء المماليك «مراد بك والبرديسي وغيرهما».

٤- ذكر التراجم الموجودة في تاريخ الجبرتي «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للسنوات ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥م.

٥- تراجم مشاهير الإيطاليين المقيمين في مصر أو بخارجها في أيام الوالي محمد علي باشا.

٦- تاريخ حياة إسكندر باشا فهمي.

٧- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس للجبرتي.

٨- تقرير بالإنجليزية عن الإحصائيات الاقتصادية لسوريا مقدم من دكتور بورنج إلى لورد بالمرستون عام ١٨٤٠.

٩- مخطوط عربي عن سورية ومعه مقال بالإنجليزية عن اتفاقية الحدود السورية ١٨٠٠-١٩٥٠.

١٠- مجموعة أوراق مطبوعة بالفوتوستات تتعلق بحكيكيان بك المهندس في عصر محمد علي.

١١- مجموعة مراسلات من بورنج إلى بوغوص بك.

١٢- رسالة دكتوراه بعنوان «العلاقات المصرية الإنجليزية وأثرها في تطوير الحركة الوطنية في مصر» للدكتور أحمد فريد علي.

١٣- «مصر المستقلة» ترجمة عربية لكتاب محمد أمين يوسف Independent Egypt.

١٤- مقررات كلية المعلمين بمصر الجديدة.

١٥- موجز رسالة للأستاذ محمود صالح منسي.

١٦- رسالة دكتوراه مقدمة من الأستاذ أحمد طربين موضوعها «أزمة الحكم في جبل لبنان منذ سقوط الأسرة الشهابية حتى استقرار عهد المتصرفين».

١٧- كراسات تحوي ترجمة عربية قام بها الأستاذ أحمد خاكي وزميل له لفصل كتبه باللغة الإنجليزية المؤرخ محمد شفيق غربال في موضوع «آراء وحركات في التاريخ الإسلامي».

ولأهمية هذه الأوراق شكل مجلس إدارة الجمعية التاريخية لجنة للنظر فيها ثم تقديم تقرير عنها مع ذكر وسائل صيانتها ومدى الاستفادة منها وما تراه اللجنة صالحًا للنشر من هذه الأوراق، وقد تشكلت اللجنة من الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى والدكتور محمد محمود الصياد والدكتور الشاطر بوصيلي أعضاء والدكتور عبد الرحمن زكي مقررًا.

خامسًا : الدراسات عن شفيق غربال :

تعددت – على قلتها – الدراسات عن محمد شفيق غربال ، ومنها:

١- شفيق غربال مؤرخًا، د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، عام ١٩٦٣م.

٢- شفيق غربال: مكتبة العرب.

٣- محمد شفيق غربال وصناعة المؤرخين، من إسلام أون لاين نت.

٤- محمد شفيق غربال: عبد الرحمن بيطار، الموسوعة العربية.

⊙⊙⊙